

وَلْنُلْخِصَ الْكَلَامَ فِي ذَلِكَ فِي ثَلَاثَةِ مَسَالِكَ : الْمَسْلَكُ الْأَوَّلُ : الاستدلال بما نصبه من الآيات أنواع وهذا معنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ إِلَى قَوْلِهِ : لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤] . وكل ما جاء في القرآن من التنبيه على الموجودات فهو يفيد هذا إلى قوله : ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿ [المؤمنون: ١٥] ، وسريان الغذاء إلى كل عضو على قدره، وقد نبه الله على هذا المعنى في قوله: وَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمَ السَّمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ تَرَاهُ أَوْ تَسْمَعُ بِهِ دَلِيلٌ قَاطِعٌ مُسْتَقِلٌّ بِالدَّلَالَةِ عَلَى وُجُودِ خَالِقِهِ ، وَلِلْسَائِلِ أَنْ يَسْأَلَ هَاهُنَا ثَلَاثَةَ سُؤَالَاتٍ : السُّؤَالُ الْأَوَّلُ : إِنْ قِيلَ : مَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ وَاسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى مُحْدِثِهَا . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَتَرِ الْأَرْضَ هَا مِدَّةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ اللَّهُ السُّؤَالُ الثَّانِي : إِنْ قِيلَ : مَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الصَّنَائِعَ تَفْتَقِرُ إِلَى فَائِكَ لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ بِنَفْسِكَ قَبْلَ وُجُودِهَا ، فَكَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ صَائِعُهَا ؟! وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : الْوَجْهَ الثَّانِي : أَنَّ الصَّنَائِعَ عَلَى قِسْمَيْنِ : مِنْهَا مَا يَقْدِرُ الْبَشَرُ عَلَيْهِ ، فَكَذَلِكَ الْقِسْمُ الثَّانِي يَدُلُّ عَلَى صَانِعِهِ وَلابد، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ السُّؤَالُ الثَّالِثُ : إِنْ قِيلَ : مَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ خَالِقَ الْمَوْجُودَاتِ فَالْجَوَابُ أَنَّ مَخْلُوقَاتِهِ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا غَيْرُهُ سُبْحَانَهُ، إِلَى قَوْلِهِ : قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ اعْلَمُ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - دَعَا الْخَلْقَ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ ، وَظَهَرَتْ عَلَى أَيْدِيهِمُ الْمُعْجَزَاتُ الَّتِي لَا يَقْدِرُ الْبَشَرُ عَلَى مِثْلِهَا : كَاخْرَاجِ النَّاقَةِ مِنَ الصَّخْرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ لَوْ وَقَدْ نَبَّهَ اللَّهُ عَلَى هَذَا فِي قَوْلِهِ : كَذَبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ اللَّهُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ﴾ [الحج: ٤٢ - ٤٤] ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْمَسْلَكِ إِيْمَانُ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ بِاللَّهِ تَعَالَى فَكَيْفَ تَقُومُ بِذَلِكَ حُجَّةٌ عَلَى مَنْ يُنْكِرُ الشَّرِيعَةَ ؟ الْوَجْهَ الثَّانِي : أَنَّا سَنَقِيمُ الدَّلِيلَ الْقَاطِعَ عَلَى صِدْقِ الشَّارِعِ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ ، وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢] وَلَأَجْلَ مَا جَبَلَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ قَالَتِ الرُّسُلُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - لِقَوْمِهِمْ : لَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ